

الانتحار : بحث علمي احصائي

الحياة في كل شوب الارض آمن قية يقتنها الانسان . ولا بد من ان تبقى في حرز حرز لا تباح للمتدي اذا شئنا لمراتنا البقاء . فرغماً عن المصاعب التي تصادها وضروب الهوان والحية التي تمسنا يظل الالم عاجزاً في التغلب عن الفوز على الرغبة في الحياة . ومع ذلك نجى على كثير من الناس احيان يتشون فيها راحة الموت وسلام القبر . فالوجود كثير التقيلا لا يخلو من بواعث اليأس والقنوط وكثيراً ما يجد الانسان نفسه في مأزق تصفر فيه قيمة الحياة امام راحة القبر . تلك هذه الحواطر عنان النفس لحظة عابرة قذا استطاع الانسان ان يحتفظ في تلك اللحظة بعقله وذاكرته ادرك ان مصاعبه تنقضي وان سعيه مقروناً بالحكمة يخرج به من المصعة ظاهراً . ولا ريب في ان غريزة البقاء تضع امام العزم على الانتحار سداً منيعاً ولكن هذا السد يهدم في بعض ساعات القنوط الشديد تفرق الروح وتحمّد شمة الحياة . ومهما يكن السبب فعدد الذين يختارون هذه الطريقة للفرار من تيمات الحياة كل سنة كثار بسدود بالالوف ولكنهم في الغالب هم المغلوبون في ميدان الحياة وانتحارهم اقرار منهم بحزيمهم وهزيمتهم

﴿ زيادة الانتحار ونقصه ﴾ عدد الذين ينتحرون في الولايات المتحدة الاميركية كل سنة وثبتت حوادث انتحارهم يبلغ نحو ١٦٠٠٠ نسمة . ولا ريب في ان عدداً كبيراً ينتحرون فلا يثبت انتحارهم لان اقاربهم يخفون السبب فيدون في سجل الوفيات حتى ان الوفاة طبيعية او غير ذلك . ومن المثير هنا الآن ان ثبت حل الانتحار آخذ في الزيادة في بلادنا او هو ثابت على متوسط واحد . قلاحيات المدونة لم تبدأ الا في مطلع القرن العشرين لما كان متوسط الانتحار ١١٥ في الالف وظل يرتفع حتى بلغ ١٧٨ في الالف سنة ١٩٠٨ وظل نحو ١٦ في الالف الى مطلع الحرب الكبرى . فلما دخلت الولايات المتحدة غمار الحرب هبط متوسط الانتحار تدريجاً الى ان بلغ ١٠٢ في سنة ١٩٢٠ وهذا يطابق زيادة الانتحار ونقصانه في البلدان الاوربية مما يدعى ان خيبة الامل التي اسفرت عنها الحرب لم تدفع بالنفوس الى الانتحار قنوطاً من صلاح الحال . ثم اخذ هذا المتوسط يرتفع في الولايات المتحدة الاميركية سنة ١٩٢١ حتى بلغ ١٣٨ سنة ١٩٢٨ قلاحيات العام غير معين ولكن الامر الذي لا ريب فيه ان المتوسط هبط عما كان عليه سنة ١٩١٨ وما يؤثر في هذا الصدد ان

متوسط الاتحار بين الهال في الريف نقص أكثر من نقصه في مجموع الامة
 ❖ اختلاف باختلاف البلدان ❖ ومتوسط الاتحار يختلف باختلاف البلدان فبين
 عن المادرات المختلفة التي يجري عليها السكان وعقائدهم الدينية وأحوالهم الاقلية والاجتماعية
 وغير ذلك من العوامل التي زجر النفس وتقيها من الاستسلام لدوافع الهلاك. في الصف
 المتوسط نجد الولايات المتحدة وانكلترا واسوج وويلز واسكتلندا واسرائيل وزيلندا
 الجديدة وفلندا. ويفوقها قليلاً في علو متوسط الاتحار بلدان البلجيك والدنمارك وفرنسا
 ويقل عنها قليلاً بلدان ايطاليا وهولانده وزوج وكندا. واعلى متوسط للاتحار في اليابان
 والبلدان الجرمانية كاثانيا والنمسا وسويسرا والمجر وبولونيا وتشكوسلوفاكيا. والمتوسط فيها
 يتراوح بين ٢٥ في الالف و٣٠ في الالف وهو ضعف المتوسط في امريكا وانكلترا
 وغيرها وستة اضعاف الى عشرة اضعاف المتوسط في البلدان الكاثوليكية مثل امبانيا
 واورلندا وشيلي وكوبا. ومما هو جدير بالذكر ان متوسط الاتحار في القسم الكاثوليكي
 من ايرلندا يبلغ ٣٢ في الالف وفي القسم الشمالي وهو القسم البروتستانتي يبلغ ضعف
 ذلك او نحو ٦ في الالف

❖ الزواج والبيض ❖ والاتحار في الولايات المتحدة الامريكية مقتصر تقريباً
 على البيض ففي احد عشر مليوناً من الزوج في تلك البلاد لم يحدث سوى ٥٠٠ حادثة
 اتحار في سنة. وهذه الحقيقة على جانب من الخطورة لان متوسط القتل العمد بين الزوج
 حال جداً. فليس تحت اسم علمي للاعتقاد القائل بأن الاتحار والقتل يبران جنباً الى
 جنب. وانها ينشأ عن احتقار الحياة الانسانية. والظاهر ان لكل من العاملين سراً نفسياً
 معيناً يختلف عن الآخر. فالقتل ينشأ في الغالب عن انفعال عنيف مفاجيء يملؤه الدافع
 للقتل. اما الاتحار فيطلب عليه ان يكون نتيجة تدبير وروية وتأمل باطني وهي نفس
 العوامل التي تمهد الانفعال المنقضي الى القتل

❖ السن : الكبار والصغار ❖ والسن عامل من اهم العوامل في الاتحار وعلى الضد
 من الاعتقاد العام يزداد متوسط الاتحار بتقدم السن. فالاطفال والصغار يندر ان يقع
 بينهم حادث اتحار. خفتهم وبهجتهم ونشاطهم تحول دون مراودة الحية وظلمة القنوط.
 ففي سنتي ١٩٢٣ و١٩٢٤ وقع في الولايات المتحدة التي شملتها الاحصاءات ٢٣٠٠٠ حادث
 اتحار لم يكن بينها سوى ٧٨ من الاطفال او اقل من ثلاثة اعشار واحد في المائة. فرغماً
 عن الحوادث التي تشهدها الصحف وتداولها الميث ان الاتحار بين الصغار مسألة اجتماعية معقدة
 ولا علاقة لها بما تدعيه الصحف من تفشي السموم بالمراودة والحية بين الاحداث. واكبر دليل

على ذلك ان نقص متوسط الانتحار كان معظمه في طبقة الاحداث المراهقين في السنين الاخيرة. واذا بدأنا التتبع من سبي المراهقة الى الكهولة وجدنا انه كلما تقدم انشأنا في السن زاد متوسط الانتحار بينهم . بل ان نصف حوادث الانتحار التي تقع في اميركا تقع بين الرجال الذين سبهم ٤٥ سنة او فوق ذلك مع ان الرجال الذين في هذه السن ليسوا الا عشرين في المائة من مجموع السكان والانتحار في الرجال وفي النساء يبلغ معظمه في الكهولة والشيوخة وهو في الرجال اكثر منه في النساء.

﴿الرجال والنساء﴾ والواقع انه يصح القول بأن الانتحار استجابة نفسية خاصة بالرجال . فعدد المتحجرين كل سنة ثلاثة اضعاف المتحجرات . ولا يفوق متوسط المتحجرات متوسط المتحجرين الا في السن ١٥ — ١٩ وهو لا شأن له لقلة المتحجرين والمتحجرات فيه كما تقدم . على اننا نستطيع ان ندين من ذلك ان اضطراب الحالة النفسية في سن المراهقة اعث على انتحار الفتيات منه على انتحار النيان . ولكن الآفة تغلب بعد سن العشرين وبأخذ متوسط المتحجرين بطرد ازدباداً . ومنه تدين ان المتحجرين في سن ٢٥ — ٣٤ يفوق ضفي المتحجرات في ذلك السن ثم يصير اربعة اضعاف في السن ٣٤ — ٤٥ وسبعة اضعاف فوق سن الخامسة والستين

﴿وسائل الانتحار﴾ اما في وسائل الانتحار فكل رجل خطة معينة واضحة وللنساء شئها . فالرجال يستعملون الوسائل الغنية كاطلاق الرصاص والشنق وها اكثر الوسائل شيوعاً بين الرجال . اما النساء فيؤثرن التسمم والاختناق بفتح ابواب النار . وفي الغالب يندر ان تختار المرأة وسيلة للانتحار تطوي على اراقة الدم او تشويه الجسد . وقد بلغ من ندرة استعمال الرصاص للانتحار بين النساء ان اشار بعض الاطباء النفسيين (Psychiatrist) الى ان استعمال امرأة للرصاص في الانتحار دليل على مبالها المحتوي ومع ان الرجال يظفون الرصاص غالباً والنساء يؤثرن التسمم الا ان هناك «ازياء» تفشروا في الانتحار ثم تزول . ففي هذه الايام الارغما من نوافذ البنايات العالية . وما لا ريب فيه ان وسائل الانتحار تختلف باختلاف البلدان . ففي سويسرا يفضل المتحرون ان يشنقوا انفسهم على ان يطلقوا الرصاص والنساء يفضلن الترقى على التسمم . والانتحار غزواً وفي ايطاليا كثير الشروع فهو بين النساء ثاني وسائل الانتحار شيوعاً وبين الرجال ثالثها . وما لا ريب فيه ان سهولة التناول تيسر وسيلة الانتحار في كثير من الحوادث فاذا كان الانسان قانطاً وقبح دويجه ورأى مأساً محشوراً اطبقه على نفسه او اذا رأى امته جلاً جديداً ومكبلاً يبلق منه انتحار شيقاً . فالوسائل عنده سواء لا يفضل منها الا ما كان رهن

يديه. ولكن هناك طائفة من المتحزين تكابد أنواع المشاق لتتحرر بطريقة مرسومة من قبل. وقد علمنا حديثاً عن أول حادثة اتجار بالارغاء من طيارة اقدمت عليها سيّدة لتفوز في موتها بالشهرة التي نخطها في حياتها

﴿الاتجار والحالة الاقتصادية﴾ وإذا حاولنا ان تبين العلاقة بين الميل الى الاتجار وحالة المتحزين المالية عرفنا ما ينطوي عليه هذا البحث من الصعوبة والتعقيد. والخفايا التي لدينا لا تتوقف لنا الا الاستنتاج التالي: يندر ان يكون سبب الاتجار واحداً. فقد قيل ان الارباب الذين يملكون كل وسيلة للتسّع في الحياة اقرب الى الاتجار من المعدمين الذي لا يكادون يملكون ما يتقبلون به. ولكن الاحصاءات التي تبيننا عليها هذا لا تؤيد ما يقال. فمجلات الوفيات في الولايات المتحدة الاميركية لا تبيننا في تبين حالة الشوفي المالية والاجتماعية. على ان خير ما نستطيع الاعتماد عليه بعد السجل الرسمي، احصاءات شركة متروبوليتان للتأمين على الحياة. فلهي طائفتان من حاملي بوالص الشركة طائفة صناعية وطائفة عادية. وتشتمل الاولى على النحال القاطنين المدن ومتوسط الاتجار بينهم بحسب احصاءات هذه الشركة اعلى في كل سني الحياة (بعد العشرين من العمر) من حاملي البوالص المادية وحظهم من اصحاب المهن الحرة واصحاب المربيات

وهناك ادلة اخرى تشير الى ان متوسط الاتجار ينح الى حد ما بالحالة المالية. ذلك ان متوسط الاتجار بين الرجال يختلف باختلاف الاحوال الاقتصادية العامة. ففي سنة ١٩٢٢ قام الاستاذان ارغبرن وتوماس بدرس دقيق خرجائهم بأن الرواج ينقص متوسط الاتجار بين الرجال والكساد يزيد. وقد وصل باخون آخرون الى مثل هذه النتيجة من طرق اخرى فحالة الكساد التي كانت سائدة في دوائر العالم المالية والاقتصادية بين ١٩١٣ و ١٩١٥ وافقتها زيادة تذكر في متوسط الاتجار. ثم نقص المتوسط في سنوات الرواج في اثناء الحرب (الكلام على اميركا) حتى بلغ حده الأدنى سنة ١٩٢٠ فلما بدأت فترة الكساد بعدها اخذ يزداد مما يدل على وجود علاقة طردية بين الرواج (او الكساد) ومتوسط الاتجار. ففي الذعر المالي الذي استولى على وول ستريت في آخر سنة ١٩٢٩ قيل ان الناس الذين فقدوا كل ما يملكونه في تلك الكارثة كانوا يرمون من نوافذ الفنادق التي يقيمون فيها. وقد استنبطت للدلالة على ذلك قصة فقيل ان كاتب احد الفنادق كان يسأل كل من يطلب استئجار غرفة في فندقه «هل في بيتك ان تشمل الغرفة لفرش النوم او لفرش القفاز» والواقع ان حوادث الاتجار التي شهرتها الصحف ارجعها لا شأن لها في الاحصاءات الرسمية لقلتها اما في انجلترا تنقسم الامة الى خمس طبقات اقتصادية ومتوسط الاتجار في الطبقتين

الاولين فرق المتوسط العام ومتوسطه في الطبقات الثلاث الباقية تحت المتوسط العام. ومن الغريب ان اكثر حوادث الاتجار تقع في إنجلترا بين اصحاب المهن الحرة وخاصة الاطباء واطباء الاسنان والمحامين. على حين انها قليلة جداً بين المصلين ورجال الدين. ولم تذكر حادثة اتجار واحدة بين رجال الدين الكاثوليك مع ان متوسط الاتجار بين رجال المذهب « الانجليكاني » مثل المتوسط العام. وبين رجال المذهب البروتستانتي فوق المتوسط العام. ومما ثبت ايضاً ان الاتجار كثير جداً بين وكلاء شركات التأمين وبحار الشروبات الروحية واصحاب الحانات وبعض المشتغلين بصباغة الغزل والنسيج. فالاحصاءات البريطانية تؤيد القول بان الاتجار اكثر بين الطبقات الغنية منه بين الطبقات الفقيرة. ولكن الفروق التي تشير اليها الاحصاءات لا تكفي لتأييد هذا الحكم الفاصل تأييداً نهائياً

المدن والريف  هل في ازدهار المدن عوامل تثير النفوس للاتجار؟ لا لهم. ولكن اوضاع التي تؤيدهم الارقام هو ان متوسط الوفيات في المدن اعلى منه في الارياف ولعل ذلك عائد الى استقرار العائلة الرضية وقلة الطلاق فيها وقلة الازواج الذين لا اولاد لهم ولوحدة المسادات والتقاليد واثاقها بين الزوج والزوجة. وليس الاتجار في المدن اكثر منه في الارياف فقط بل هو في المدن الكبيرة اكثر منه في المدن الصغيرة، اذا تسارت العوامل الاخرى. ففي سنة ١٩٢٦ كان متوسط الاتجار العام في الولايات المتحدة الاميركية ١٢ و ٦ في الالف. وكان في السنة نفسها في المدن ١٦ في الالف وفي المدن التي يزيد سكان المدينة بها على نصف مليون نسمة ١٨ في الالف

الذهب والسقيدة والثقافة  ولما كان سكان الولايات المتحدة الاميركية مؤلفين من شعوب مختلفة فدرس توزيع الاتجار بين هذه الشعوب له شأن كبير في فهم اسبابه والبواعث عليه. وقد أسفر البحث في هذه الناحية عن ان النسبة على اعلاها بين الاميركيين المولودين المائاً او من اميون المانيين، وعلى ادناها بين الابطانيين واليهود. اما بين الارلنديين فتوسط الاتجار قريب من المتوسط الاميركي العام ولكنه اعلى من متوسط الاتجار في ارلندا. اما الانكليز الفاطنون في اميركا فتوسط الاتجار بينهم اعلى جداً من المتوسط الاميركي العام بل هم قريبون من الالمان في ذلك

يظهر من ذلك ان الميل الى الاتجار يختلف باختلاف الشعوب. ولكن لفظة « شعب » لا تدل على معنى معين. ونحن نستعملها هنا للدلالة على اراث تاريخي وثقافي وديني واحد. وهذه العوامل النفسية هي من ابعاد الماثل اترأ في تكوين فلسفة الحياة. قذا كان الفرد يسلم بتعاليم الكنيسة تسليماً حريفاً ويخضع لسلطانها ويأخذ بما ترسمه له من واجبات قليل الى الاتجار

قليل . اما اذا كان نظام الكنيسة غير محكم وسلطانها مهبطاً وكانت للفرد الحرية المطلقة في توجيه حياته فالراجح ان الميل فيه الى الانتحار يكون قوياً . وهذا يدل الى حد ما قلة الانتحار في البلدان الكاثوليكية . فالانتحار شيء نادر بين فلاحى اسبانيا وابطاليا وارلندا وغيرها من البلدان الكاثوليكية . حتى في ألمانيا حيث يكثر الانتحار نجد فرقاً بين متوسطه في روسيا اللوثرية وبأقاربا الكاثوليكية

ومما يتصل بالعقيدة الدينية في تحديد الميل الى الانتحار الوجهة الفكرية التي تخلفها الثقافة السائدة ، فمن الشعوب من يخضع للسلطان سواء كان روحياً او عقلياً او سياسياً او اجتماعياً على انه ارادة الله . والفلاحون في الغالب هم من هؤلاء فانهم يقولون سلطة الكنيسة والدولة ويسلمون معها بأن الانتحار جريمة في نظر الله والدولة . فهم يحبسون الحياة هبة من الله ويسلمون كما يتسلمون ، ان على كل انسان ان يحمل صليبه مسلماً من غير ان يسأل عما في ذلك من عدل او جور . يقابل ذلك آراء الطبقات المتعلمة ومعظمهم في الغالب من سكان المدن وعدم ان للفرد مقابلاً خاصاً في نظام الاجتماع وينظرون من الحياة اسبغ لونها عليه فاذا لم يتم ما يطلبون شعروا ان الحياة نفسها تعيب مقاصدها وتقطع عليهم سبلها فتضطرب عقولهم وتقلق نفوسهم ومن هنا يكثر انتشار الانتحار بينهم

لقد اتينا فيما تقدم على العوامل الخارجية التي لها اثر في زيادة متوسط الانتحار او نقصانه . ولكن الاقدام على الانتحار او الرغبة فيه نتيجة نزاع نفسي . فما هو الاصل الاخير في دراسة نفسية عنيفة . وفي بيان هذا النزاع يجيبان تلجأ الى الاطباء النفسيين . هؤلاء يقولون ان الانتحار نادر بين الناس ذوي العقول المترنة والحواس المطمئنة المستقرة . وانه منظر في الذين على الضد من ذلك . فقد شرح الدكتور فيفر (Pfeiffer) حيث ٦٠٠ متحر في الذين على الضد من ذلك . فقد شرح الدكتور فيفر (Pfeiffer) حيث ٦٠٠ متحر فوجد في عدد كبير منها آفات في الدماغ . وحلل الدكتور ستيرز (Starns) عديداً من حوادث الانتحار في ولاية ماسشوستس فوجد الجنون جلياً في ثلثها ووجد في ثلث آخر اعراض التورسيميا او ادمان الكحول والمخدرات . وهناك حالتان نفسيان اليهما ترجع اسباب كثيرة من حوادث الانتحار . الاولى اللانحوليا واساسها الشعور بالندني والضعف . والثانية «دمنا بريوسكس» ومن مظاهرها شعور الاستلاء والعظمة ونها وهم يسيطر على مريض فيقتعه بأن الله يدعوهم اليه . ثم هناك الجنون الناجم عن الاصابة بالفلس وادمان الكحول . وبعد كل هذا نجد حوادث انتحار الباعث عليها اضطراب عقلي او شعوري من غير أية اصابة عضوية وهذه ترجع غالباً الى طريقة التعليم والتدريب وطريقة اتصال الفرد بالجمتمع فيستولي عليه شعور الحمية وظلمة القنوط